



في رثاء مولانا عبد المجيد إمام

إنا لله وإنا إليه راجعون

إعلاناً للصبر وتحسباً للبشرى الوعد من عند عزيز مقتدر. إن الأنفس ماضية لحمية التدوق، واقفة قيد الأمر الحق، ليس لها في ذلك حول ولا قوة، ولا اختيار لها غير الطاعة والرضى. العمر كتاب ينتشر ساعتئذ في الحضور قبل الموارد، وعلى الوجوه قبل الصحاف، فالسعيد من أوجبت لجماعته رحمته، والشقي من أقرت به بغير ذلك.

الإنسان يصير أمة بعلمه إذا نفع وبذله إذا تخير البذل فيما ينفع الناس، وأخلاقه وسلوكه إذا يمشي بين الناس مجسداً لكل طيب وجميل، وقد تخير عليه رحمة الله أن يمضي في يوم أعلن فيه تمسكه بالديمقراطية في ثورة شعبية ما زال صداها يدغدغ المشاعر بوطن جميل، وهي ثورة الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٦٤، ذلك أن الديمقراطية أقرب الفروع إلى الأصل الذي يريد وهو الحرية، وظل متمسكاً بوعي وحدوي ضد المراق الواهية لأحلام ما استصحبت الرشد، كدعاوى تقرير المصير والكونفدرالية، لأنه أدرك أن الأرض ما ضاقت بأهلها أبداً، وأنه إذا كان في النفوس خير، ففي الأرض أرحب وأن من عجز البديهة وعمى البصيرة رفع شعار للتفرقة في وقت ينادي فيه العالم إلى التوحد، ظل داعياً إلى كلمة سواء تجمع الناس حول دستور أنموذج في ركوب التنوع مطية إلى الوحدة واستغلال التعدد في إثراء الحضارة الإنسانية، لذلك وقف داحضاً لدستور التوالي الذي جاء ضعيفاً في لغته وبيئته متدنياً في فنياته وبالتالي قصيراً في أجله، لأنه لن يجد من يبر به. وقبل ذلك برأ نفسه من أن تكون له يد في مثل هذا العمل العاق. كان يعلم أن قوة السلاح في غير رد الحقوق ودفع الظلم تعتبر قوة غصب وهدم لمبادئ حياتية لا يقرها إلا ضعيف فكرة وقليل حيلة، ولذلك نأى بنفسه عن منهج الذين تكورت عقولهم أعلى أذرعهم متوكلين على حبه لهذه الأرض العطاء، متحلقاً حول القائل:

علفتها عرضاً وأقتل أهلها زعماً لعمر أبليك ليس بمزعم

كانت أبوابه مفتوحة وخطواته سباقة إلى كل داعية خير

وقاصد إصلاح، دولة كان ذلك أم فرد.

وعلى ذلك قدم مذكرة حزبه في اجتماع منظمة الإيقاد بالقوى السياسية المعارضة بالداخل والتي حوت مبادئ فكرته العامة.

وضح فيها أن الإيقاد في شكلها آنذاك ماعون ضيق لا يستطيع تحقيق الهدف إذا كان الهدف هو إرساء السلام في السودان. وأنه ليس من حق الإيقاد كوسيط أن تقترح مثلى بند تقرير المصير لأنه دعوة غير مباشرة لتقسيم لاسودان ولدعاوى أخرى، وأنه لا بد أن تراعى حساسية المسميات والخروج من دائرة علمانية ودينية التي لا وجود لها إلا في أدبيات الخصومات السياسية بالتداول حول مسمى دولة المواطنة، وشتان ما بين دعاة دولة المواطنة وأدعياء دولة المواطنة. كان يؤمن بالنضال بين الناس، وبما هو ممكن، ونه شرف للداعية أن يعيش مع الناس حلوهم ومرهم، يعرفونه ويألفونه ويحسنونه في كل أشيائهم.

لهذا الشامخ نقول:

إن الذي بمماته هجر الحياة وسحرها وحياته بالحب كلنت تمازج غيرها

يولي المحبة أهله منحوه أو بخلوا بها ببلاده قد عاش حتى مات ينشد خيرها

ويشب نار جهادها ويرفع قدرها يكفيه فخراً أنه أدى الأمانة وانتهى

ونقول للذين استعجلوا نعيه بحل حزبه وتنصيب أنفسهم ورثة غير شرعيين له، قبل أن يزينوا بهذا النعي صدور أعلامهم اليوم:

إن نعم ما وعظ به الله أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. وأنه رحمة الله عليه سيف قد أنبت عليكم سيوفاً وأن الظالم مدحور ولو بعد حين.

وإلى الذين فاجأهم الزمان وفجعتهم المصيبة نقول:

صبر جميل وسعي موصول لغد مأمول بإذن الله تعالى.

يوسف عبد الله صوصل

جدة ٢١ أكتوبر ١٩٩٩م